جماليات النسيج الفني في شعر بدوي الجبل

إعداد

د . إسماعيل العبد المنشاوي

أستاذ الأدب والنقد

ووكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

جامعة الأزهر

جماليات النسيج الفني في شعر بدوي الجبل

إسماعيل العبد المنشاوي
قسم الأدب والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
جامعة الأزهر
ismailalminshawi.68@azhar.edu.eg

ملخص:

محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) شاعر كبير، سوري المولد، ينتمي إلى أجداده الصيد المباعين (العرب) سار على نهج وسنن آبائه، من رواد وزعماء المدرسة الكلاسيكية المجددة، المحافظة في آن واحد. حدد في شكل القصيدة العربية ومضمونها، بث فيها مضامين ومفاهيم كانت جدٌّ نادر. من قبل، كالوطنية والقومية والاجتماع، وغيرها، فكان شعرة صورة صادقة لنفسه، ومرآة صافية لخلجانه ووجدانه، فطربت لشعره نفوس الناس والشعراء والنقاد وضعت إلى عذب ألحانه وروائع أناشيده قلوب العباد، وسنتناول في هذا البحث جماليات النسيج الفني في الشعر الوطني عند بدوي الجبل

الكلمات المفتاحية: المعجم – الشعري– الشعرية – الموسيقى – القافية– بدوي – الجبل – النسيج – الفني.

Aesthetics of Artistic Context in the Poetry of Badawi al-Jabal

Ismail Al-Abd Al-Minshawi
Department of Literature and Criticism
College of Islamic and Arabic Studies for Girls
Al Azhar university
ismailalminshawi.68@azhar.edu.eg

Abstract:

Mohamed Sulaiman al-Ahmad (Badawi al-Jabal) is a great Syrian-national poet, belonging to his brave hunters (Arab) ancestors. He tracked the footsetps of his precedents who were prominents of the renovated classic, but simultaneously conservative, school. He shaped the Arabic poem and its content and pumped to it subjects and concepts that were rarely addressed, such as nationalism, socialism, etc. Thus, his poetry was a sincere image of himself, and a pure mirror of his inner thoughts and conscience, causing people, poets and critics to be interested in his poetry and the souls of people to be harmonized with his rythems. In this research, we will address aesthetics of artistic context in the national poetry of Badawi al-Jabal.

Keywords: dictionary, poetic, poetry, music, rhyme, Badawi, al-Jabal, context, artistic

بدوي الجبل الحياة والسيرة

بدوي الجبل (١٩٠٣- ١٩٨١م)

اسمه ونسبه :

محمد سليمان الأحمد ، ولد في عام ١٩٠٣م في قرية ديفة التابعة لمحافظة اللاذقيّة ، عاش محباً للهاشميين عبر كل العصور ، واعتز بالانتساب إليهم ، وأفصح عن ذلك في مثل قوله :

هاشـمي الهـوى أحـب فمـا داري وعادي علـى هواكم وعودي[١]

والده هو الشيخ سليمان الأحمد بن أحمد بن حسن بن إبراهيم بن مكزون السنجاري ، ينتهي نسبه إلى الغساسنة ، كان من أئمة علماء عصره، وداره كانت منتدى للعلم والأدب ، وكان عضواً بالمجمع العلمي بدمشق ، وأمه راجية بنت صقر إبراهيم عجيب من قرية (دبنة)، وهي عربية المنشأ والأصل ، ماتت وهو في الثانية من عمره ، وتزوج أبوة من امرأة تعهدت طفولة شاعرنا بالحنان والرأفة ، وغمرته بفيض من عاطفة الأمومة الصادقة ، فلم يشعر بفارق بين أمه الثانية وأمه الأولى [٢].

لقبه :

" بدوي الجبل : يروى الأستاذ أكرم زعيتر في مقدمة ديوان شاعرنا سبب تلقيبه بهذا اللقب ، فيقول : " كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره إلى جريدة " ألف باء " الدمشقية ، ولم يكن على قدر كبير من الشهرة آنئذٍ تناسب رفعة شعره ، وحدث أن هز العالم نبأ المناضل الأيرلندي " ماك سويني " ، محافظ مدينة كروك ، الذي جعل احتجاجه

(١) ديوان بدوي الجبل جمع أكرم زعيتر صـ ٢١٢ دار العود ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

(٢) محمد سليمان الأحمد " بدوي الجبل" – حكاية شاعر – زهير الماريني صـ٢٢- بيسان للنشر والتوزيع والإعلام – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

على وجود الإنجليز في بلاده صياماً حتى الموت ، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ، ثم قضى صائماً ، فنظم شاعرنا تلك الصلاة بالعربية، وبعث بها إلى "ألف باء " مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، رأى قصيدة مذيلة بتوقيع " بدوي الجبل " فسعى إلى صاحبها الأستاذ / يوسف العيسى يسأله عن السبب ، فأجابه : إن الناس يقرأون للشعراء المعروفين ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على أن يقرأوا الشعر للشعر ، وأن يتساءلوا من ذا يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وأنت في ديباجتك بداوة ، وأنت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب ..... وأنت ابن الجبل" ، وتوالت قصائد " البدوي" ونقلتها صحف في بيروت شاديةً بها ، والناس يتساءلون : عمن يكون ؟ أهو خير الدين الزركلي ؟ أم هو خليل مردم بك؟ وهما شاعرا الشام آنئذٍ ، إلى أن دعا صاحب الجريدة نخبة من الأدباء وأعضاء المجمع العلمي إلى احتفال قدم فيه الشاعر : "هو ذا بدوي الجبل ، إنه محمد سليمان الأحمد " ، وراح البدوي يشدو ، وهم في نشوة مما يسمعون ، وغلب اللقب على الاسم حتى حل محله في البيت وخارجه[(١)] .

سلك تعلمه وثقافته :

مر الشاعر في تعلمه وثقافته بأربع مراحل تطورت تبعاً لظروفه وسنه .

المرحلة الأولى : تعلمه القرآن الكريم علي يد شيخ قرية (عين التينة) التابعة للاذقية وهو دون العاشرة ، وأتقن فن التجويد والقراءات ، وفي هذه السن تعهده أبوه بحفظ الشعر الجيد ، ومبادئ النحو والصرف .

(١) ديوان بدوي الجبل صـ ٢١ .

المرحلة الثانية : درس الفقه الإسلامي على يد أبيه ، وكذلك الشيخ يونس حسن رمضان ، قرأ في هذه المرحلة على أبيه دواوين كبار شعراء العربية مثل: ديوان المتنبي ، والبحتري ، وأبي تمام ، ومهيار الديلمي ، وغيرهم ، كما اطلع على أهم عيون ومصادر الأدب والتراث العربي ، من مثل الأغاني ، وخزانة الأدب ، والأمالي ، ولعل هذه المرحلة لا تعدو الجمع والحفظ ، دون الوعي الكامل التام بمضامين هذه الكتب في هذه السن المبكرة .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة دراسته الرسمية ، وفيها تعرف على المناهج المدرسية ، ولوّن ثقافته بألوان علمية ، انتقل في هذه المرحلة من جو القرية الهادئ البسيط إلى جو المدينة الصاخب ، وكانت الخطوة الأولى التي خطاها نحو الانخراط في الحياة السياسية والاجتماعية والرسمية ، فقد بدأ يتعرف على أهل المعرفة ، والمسؤولين والزعماء ، وهذه المرحلة تفتحت فيها نوافذ ذهنه وعقله ، لاستقبال أنغام الكتابات الصحفية والعلمية والأدبية .

المرحلة الرابعة : وهي مرحلة البحث الدقيق ، والاستيعاب الصحيح ، وفيها انكب الشاعر على دراسة أمهات الكتب في كل فرع من فروع المعرفة ، كالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه والشريعة ، كما قرأ الكتب المترجمة التي تقع بين يديه ، وانخرط في الحياة الأدبية ، وأخذ يصوغ روائع القصائد .

على أن ثقافته كانت عربية بحتة ، لا يداخلها ألوان أخرى ، إلا ما وقع عليها عفواً أو مصادفة ، على أن هذه الثقافة تفاعلت في قلب الشاعر فخرجت بإبداع جديد فيع ذاتية الشاعر وقدرته [١].

سجنه ومنافيه :

يمم شاعرنا وجهه صوب حماة ماشياً ، لينضم إلى معقل الثوار في الجبل ، فاعتقله الفرنسيون ، وكبل وسجن وضرب ، ورأى في السجن كيف تستباح الأرواح ، وتنفذ أحكام الصلب في المجاهدين ، ثم سيق إلى حمص ، فبيروت ، فمكث شهرا ، ثم اقتيد إلى سجن جزيرة أرداد ، فلبث حيناً ثم أطلق سراحه لصغر سنه ، ولكن التنكيل كان قد احتفر في خواطره أخاديد من الذكريات الراعبة ، فجنح إلى المهادنة حيناً ، ولكن سرعان ما استغفر الله ، وانخرط في حياة الجهاد ، إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية ، وشعر بما يبيته له الفرنسيون مع زملائه المجاهدين ، فقطع البيداء إلى العراق ، ثم عاد إلى سورية ، فاعتقله الفرنسيون وزجوا به في قلعة " كسب " على الحدود السورية ، ثم أطلق سراحه ، وانتخب نائباً عن اللاذقية، وبعد مجموعة من الأحداث والقلاقل يستبعد عن النيابة، ويصدر أمر بالقبض عليه ، ويشرد بعد سنة ١٩٥٦م، وينفى ما بين بيروت واستانبول وفينا وجنيف وروما وتونس [٢].

(١) حكاية شاعر : زهير الماريني صـ ٢٤-٢٥ .

(٢) مع الشعراء المعاصرين : د / متولي البساطي صـ٢٩٧- ٢٩٨، مطبعة أبناء وهبة حسان – القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

وفاته :

لما وقعت هزيمة ١٩٦٧م زلزل الشاعر من أعماقه وكتب قصيدة تعد من أروع ما دبج ، عنونها بـ " من وحي الهزيمة " تداولها الناس واستشهدوا بأبياتها ، وكانت بمثابة أحد الأسباب القوية التي أودت بحياته، فبينما كان يمشي ذات صباح على عادته ، وإذا بضربة ساحقة تهوى على رأسه فقد بها وعيه،وبُذِلَتْ جهود الإنقاذ حتى أفاق بعد أربعين يوماً من غيبوبته، ثم تكالبت عليه العلل والأسقام ، فلزم بيته في دمشق، حتى قضى يوم الثلاثاء في الثامن عشر من أغسطس سنة ١٩٨١ م [١].

ويرحل بدوي الجبل ،الذي مثل وجه سوريا الشعري الحقيقي، بين ثلاثينيات القرن وستينياته ، والذي سيظل شعره بين أقرانه الكبار من شعراء الوطن العربي في زمانه الرصافي والزهاوي والجواهري في العراق ، وشوقي وحافظ ومطران في مصر، وعمر أبو ريشة وشفيق جبري ، وخليل مردم في سوريا ، والأخطل الصغير وبشارة الخوري وأمين نخلة وسعيد عقل في لبنان ، سيظل بدوي الجبل أكثرهم بعناصر الانتماء إلى القصيدة الكلاسكية في أوجها وزهوها وكبريائها وشموخها [٢].

ولعل خير ما نختم به حديثنا عن سيرة شاعرنا الكبير ، هذه الأبيات التي تترجم فجيعته بهزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧م ، وهي كما أشرنا من قصيدته (من وحي الهزيمة) يقول :

رمـــل ســـيناء قبرنـــا المحفـــور وعلـــى القبـــر منكـــر ونكيـــر
كبريـــاء الصـــحراء مرغهـــا الـــذل فغـــاب الضـــحى وغـــاب الزئيـــر

(١) السابق صـ ٢٩٩.

(٢) زمن الشعر والشعراء : فاروق شوشة صـ٧٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م .

لا شـهيد يرضـي الصحاري وجلـي هـــارب فـــي رمالهـــا وأســـير
أيهـــا المســـتعير ألـــف عتـــاد لأعاديـــك كـــل مـــا تســـتعير
هـدك الـذعر لا الحديـد ولا النـار وعـبء علـى الـوغى المـذعور
أغـرور علـى الفـرار ؟ لقـد ذاب حيـاء مـن الغـرور الغـرور (١).

القصيدة تفيض باللوعة والمرارة ؛ لما نزل بالعرب من هزيمة نكراء ، كما أنها تفعم بالسخرية ممن قادوا أمتهم إلى الذل والهوان والامتهان .

(١) ديوانه صـ ١٩٢ .

الفصل الثاني

عناصر التشكيل الجمالي

أ – المبحث الأول : المعجم الشعري

أ - المعجم الشعري

تعد دراسة المعجم الشعري والوقوف على أهم روافده وملامحه "من أهم الدراسات اللغوية والأسلوبية في تناولنا للعمل الشعري ، فمن خلاله يمكن الكشف عن مضمون التجربة الشعرية ، والوقوف على خصائصها وأبعادها، والتعرف على طبيعة الموضوع الذي عبر عنه الشعراء من خلال التفسير النفسي والدلالي لتلك المفردات والألفاظ" [1] .

ففيما يتصل بالمعجم الشعري للوطنيات ، وجدنا شاعرنا "بدوي الجبل " وقد توزعه عاملان :

أحدهما : تراثي قديم ، رفدته مؤثرات وراثية، وبيئة دينية واجتماعية وثقافية ، ممثلة في الأسرة ، الأمر الذي انعكس على الشاعر ، فنمّى حصيلته اللغوية ، وأكسبه الكثير من الأنماط التعبيرية ، كما مكنه من إفراغ مشاعره القوية المتعددة الجوانب في قوالب شتى من اللفظ المعبر ، والعبارة المؤتلقة ، والنسق المبين .

والعامل الآخر : تجديدي تطلبته روح العصر ، ومن هنا ارتبط معجمه الشعري بالوطنية ، سواء بجوهرها وما يفرضه من انتماء للأرض الإقليمية أو العربية ، ثم بموقفه من الوطنية كعقيدة تشرب لبانها مذ كان صغيراً ، أو بما تمنحه هذه الوطنية من معطيات تتعلق بالواقع الذي فرض نفسه بروحه وأحداثه ، ودفع الشاعر إلى الاستجابة معه بآليات

(١) الوطنية عند شعراء أبولو صـ٤٤٧ .

لغوية تتسم أحياناً ببساطة التعبير ، وتكرار مفردات ذات دلالات معينة ، وتنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء ، والرقة والجزالة ، وكل ذلك مرتبط بعالم الوطنية والكفاح والمقاومة ، وهو في كل ذلك يحاول التحرر من ربقة النموذج القديم ، والاستقلال عنه بالمعجم الجديد المنسجم والمستجيب لروح العصر [١].

يقول عنه أحد النقاد : إن الشعراء في سورية كأصابع الكف الواحدة عدداً وحجما ، وبدوي الجبل إحدى هذه الأصابع ، في نفسه شاعران إذا انتصر أحدهما للقديم اعترضه نصير الجديد ، فما خرجت القصيدة من نفسه إلا وعليها طابع الشاعرين ، والبدوي يقلد في الشكل والمضمون ، ويجدد فيهما أيضاً ، وما أن يصل إلى نضجه الأدبي حتى نجده يتحرر تقريباً من دوائر النفوذ ، ويرسم لنفسه منحى جديد ومذهباً معيناً[٢].

وفيما يتعلق بالنموذج الأول (المعجم التراثي) أود أن أشير إلى أن "بدوي الجبل "لم يكن متطرفاً في التعامل معه ، بمعنى أنه لم يكن يعود بقصيدته الوطنية إلى المنطلقات الفنية التي كان يصدر عنها الشاعر الجاهلي ،أو المخضرم أو ما إلى ذلك ، فشاعرنا ليس من النفر الذين فهموا الشعر على أنه "مسألة لغوية بدوية عربية لا تتم على أكملها إلا في أسلوب كأسلوب الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، وأغراض كالأغراض التي نظم فيها هؤلاء " [٣] أو فهموه على أنه محاكاة حرفية للنموذج القديم بقضه وقضيضه ، وأن الشعر لا يكون شعراً إلا إذا سار في ركاب الشعر

(١) وطنيات هاشم الرفاعي : دراسة في المضمون وأدوات التشكيل الشعري د / جميل عبد الغني صـ٢٢٥، ٢٢٦ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

(٢) محمد سليمان الأحمد – بدوي الجبل – حكاية شاعر : زهير الماريني صـ٤٣.

(٣) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي : عباس محمد العقاد صـ٤٧ مكتبة النهضة العربة ١٩٣٧م .

القديم، ووقف به الشاعر على الأطلال ، وبكى الديار ، واستعار لغة البداوة ، ولاحق الأولين في خيالاتهم وصورهم .

أما شاعرنا فقد كان معتدلاً (لغوياً وصورياً) مع النموذج التراثي ، بمعنى أن العملية لا تعدو مجرد النظم على بعض إيقاعات ومفردات وصور الشاعر القديم .

فالمعجم الوطني تبدو ألفاظه ومفرداته شديدة العاطفة ، قوية الدلالة، ثائرة متمردة ، ومن ثم فإنه يحتوي على كثير من المفردات الوطنية، والجمل التعبيرية المتسمة بالقوة والجزالة ، وعلو النبرة والجهارة، وهي ملامح ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعالم المقاومة والنضال واستثارة الهمم[١].

فالمفردة التراثية تأتي في وطنياته عند التعرض لمواقف معينة تتسم بالجلال والنبل ، كغناء المجد العربي والإسلامي ، والإشادة بمآثر السابقين ، واستنهاض عزائم الشباب والمجاهدين ، وما إلى ذلك ، فنراه يقتبس بعض الألفاظ والمعاني من أي الذكر الحكيم ، والحديث النبوي الشريف ، مفيداً في ذلك ومستفيداً بكل ما يتناسب مع طبيعة الموضوع وغرضه ، إيماناً منه – ومنا أيضاً – بأن الاستعانة بألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لفظاً ومعنى تزيد الإبداع البشري قوة وبلاغة ، كما تضفي عليه حسناً وجمالاً ، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع والنور المشرق [٢].

نلمس ذلك في قول شاعرنا بدوي الجبل حين يقول :

---

(١) الوطنية عند شعراء أبولو صـ٤٤٧ .

(٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ووسائل البديع د/ بسيوني عبد الفتاح فيود صـ١٣٧ الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م .

لا تقنطوا من بارق الفوز إنني أرى الفوز قاب قوسين أو أدنى[١]

فالفوز أو النصر القريب مستمد من قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [٢].

ولا بد من يوم أغر محجل تطير الجبال الراسيات لها عهنا [٣]

مستمدٌ من قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [٤]. وقول البدوي :

بورك الهم عبقرياً جوابا لا كهم أعطى قليلاً وأكدى[٥]

مأخوذ من قول الله سبحانه : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ [٦]. وقول البدوي :

حمم كالجحيم مستعرات ردها حلمه سلاماً وبردا[٧]

مأخوذ من قوله تعالى :﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [٨].

(١) ديوان بدوي الجبل صـ٤٤٥ .

(٢) سورة النجم الآية رقم ٩ .

(٣) ديوان بدوي الجبل صـ٤٤٨

(٤) سورة القارعة آية رقم ٥ .

(٥) ديوان بدوي الجبل صـ ٢٢٥ .

(٦) سورة النجم آية رقم ٣٤ .

(٧) ديوان بدوي الجبل صـ ٢٢٧ .

(٨) سورة الأنبياء آية رقم ٦٩ .

ومن المعاني المستمدة من القرآن الكريم ، الإيمان بطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى ، ومدى إرادته ، وإرجاع الأمور كلها لله تعالى ، فهو سبحانه وتعالى المدبر والقادر عليها وحده .

يقول البدوي في شماتته بالفرنسيين حين هزمهم الألمان :

الله أكبـر هـذا الكـون أجمعـه لله لا لـــك تـــدبيراً وســـلطانا[١]

هذا المعنى مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٢] .ومن قول الحق جل وعلا : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [٣].

هذه الأمثلة شاهد ملموس على كيفية اقتباس البدوي من آي الذكر الحكيم ، ونراه هذه المرة يمم وجهه شطر السنة النبوية المطهرة ، يتضح هذا في تصاعد أريج المسك من جراح المجاهدين ، حاثاً بذلك على الاستشهاد في سبيل الله يقول :

أزكى من الطيب ريحاناً وغاليـة مـا سـال مـن دم جرحانـا وقتلانـا [٤]

والمعنى مستمد من قول الرسول – ﷺ – في حديثه الشريف حين يقول : ﴿ ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ﴾ [٥].

(١) ديوان بدوي الجبل صـ ٤٨ .

(٢) سورة يس الآية رقم ٨٣ .

(٣) سورة الانفطار الآية رقم ١٩ .

(٤) ديوان بدوي الجبل صـ٨٠.

(٥) الحديث رقم ٥١٠٧ من كتاب صحيح البخاري – كتاب الذبائح والصيد.

ويضمن البدوي بعض الأمثال العربية في شعره حين يقول :

وربــة حــرة جاعــت وتغنــى بثــدييها البغــي فــلا تجــوع [١]

وهو مأخوذ من المثل العربي (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) [٢] .

ويعزف بدوي الجبل على أوتار السابقين ويجتر أنغامهم فنجد ألفاظاً ومعاني جاهلية المبنى والمعنى ، عباسية الإيقاع عصرية الصياغة ،

فنجده يضمن بعض الكلمات من أشعار المتنبي ، والشريف الرضي، والأخطل الصغير ، وشوقي ..... الخ .

نلمس ذلك في مثل الشواهد الآتية ، يقول المتنبي :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب[٣]

وقال البدوي :

لو كان في وسعي حناناً ورحمة طننت أعدائي لقاء شعوب[٤]

وقال المتنبي :

وما ينفك منك الدهر رطباً ولا ينفك غيثك في انسحاب[٥]

يقول البدوي :

تغزلني وقلبي في وجيب من الذكرى ودعي في انسحاب[٦]

---

(١) ديوان بدوي الجبل صـ٤٢٢.

(٢) مجمع الأمثال للميداني جـ١صـ١٢٩ مطبعة المصحف الشريف ١٣٥٢هـ .

(٣) شرح ديوان المتنبي : وضع عبد الرحمن البرقوقي جـ١صـ٥٠- بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٤) ديوان بدوي الجبل صـ٦٨ .

(٥) ديوان المتنبي جـ١صـ٤٧ .

(٦) ديوان بدوي الجبل صـ٤١٩ .

وليس الأمر مقصوراً على القدماء ، بل نراه يضمن بعضاً من أشعار المحدثين ، من ذلك ما جاء على لسان شوقي في رثاء عبد الخالق ثروت :

نشأت في جبهة الدنيا وفي فمها يدور حيث يدور المجد والحسد[١]

قال البدوي :

والعبقري غريب في مواطنه يدور حيث يدور المجد والحسد[٢]

يقول شوقي :

ماتوا وعرضهم الموفور بعدهم والعرض لا عز في الدنيا إذا هانا [٣]

وقال البدوي :

تبكي السماء وتبكي حورها جزعاً للحسن والشعر في الدنيا إذا هانا[٤]

ومن تضمينه من شعر بشارة الخوري ، قال بشارة :

والشمس فوق سهوله ونبوده عربية الإمساء والإصباح [٥]

قال البدوي :

لو كان في يدي الأمان وسره وأعنه الإمساء والإصباح [٦]

ويستدعي " بدوي الجبل" بعض الشخصيات التراثية ، ورموز النضال والكفاح في الماضي ، بغية إظهار صورتين متضادتين

(١) ديوان شوقي جـ١صـ٢٤ توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د / أحمد الحوفي – دار نهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ

(٢) ديوان بدوي الجبل صـ٢٩٨ .

(٣) ديوان شوقي جـ١صـ٢٤٩ .

(٤) ديوان بدوي الجبل صـ١٣٠ .

(٥) شعر الأخطل الصغير صـ٢٣٤.دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة .

(٦) ديوان بدوي الجبل صـ٣١٥ .

متناقضتين ، فالماضي يطل بروعته وازدهاره ، والحاضر يتدلى بظلامه وتدهوره وانتكاساته .

وهو " إذ يوظف التراث يضيف على تجربته نوعاً من الأصالة الفنية ، عن طريق إكسابها هذا البعث التاريخي الحضاري ، ويكسبها في نفس الوقت لوناً من الكلية والشمول ، بحيث تتخطى حاجز الزمن ، فيسترجع في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة"[١] .

وإحساسه العميق بالمهانة ، وتردي الأوضاع العربية دفعه إلى الاستدعاء ، وكأنه يريد أن يستنهض الهمم ، ويشحذ العزائم ، ويستثير النخوة العربية، حتى يثأر من العدو ويستعيد كرامته ومجده وأرضه .

وقد أنعم شاعرنا النظر في دواوين الشعراء السابقين ، وآنئذٍ اختزنت ذاكرته ومخيلته كثيراً من المباني والمعاني والصور ، حتى نتج عن ذلك امتياز أسلوبه بالجزالة والفخامة والقوة والدماثة ، فكان متمسكاً بمتانة التركيب ، ويظهر ذلك في استعماله لعدد كبير من الألفاظ القديمة ، التي يقل استعمالها في هذا العصر .

ولعل الذي دفعه إلى استخدام الألفاظ الغريبة في تضاعيف شعره، رغبته الملحة في محاكاة الفحول من الشعراء ، ومحاولة التفوق عليهم ، وليحظ بالإعجاب من اللغويين الذين كانوا يستمعون إليه ، أو أنه أحس الأوضاع العربية والمحلية غريبة ، ومن ثم راح يطلب لها المفردة الغريبة، أو أن السياق لا يتطلب سوى هذه المفردة الغريبة ، والتي لا تنهض المفردة الواضحة بالتعبير عن المراد لَوْ حَلَّت محلها ، أو أنها (المفردة

(١) استدعاء الشخصية التراثية في الأدب العربي المعاصر د / على عشري زايد صـ١٣، ١٤ دار الفكر العربي .

الغريبة) دليل الثروة اللفظية ، وأمارة إحياء بعض المفردات العربية ، التي لولا هذا الاستخدام لظلت حبيسة معاجم اللغة وقواميسها ، وبالتالي فهو يحييها من مواتها ....إلخ هذه الأسباب التي تنعكس آثارها وشواهدها في عدة قصائد ، نذكر منها قصيدته (أهوى الشام) والتي يقول فيها :

يا ابن الصناديد اللآلي قد عفروا هام الملوك ونكسوا أجبارها
الموقدي نار الضيافة أرسلت مثل الجبال الراسيات شرارها
من كل وضاح الجبين مغامر يغشي المعامع مستثيراً نارها
كأس المنى في فرند حسامه فإذا التقطت حلق البطان أدارها
قد أرقلت بك في الخضم مطية هوجاء ما نكث الخضم مغارها[1]

تركز الأبيات السابقة على الألفاظ العربية ، والجزلة والقوية كقوله (عقروا، أجبارها ، المعامع ، حلق البطان ، أدارها ، أرقلت، مغارها)...إلخ.

وانطلاقاً من خصوصية البدوي في اختيار بعض الصيغ والمفردات التي انفرد بها،وكان له قصب السبق فيها،قوله (اللهفة الحرى) :

تضيء باللهفة الحرى جوانحه والقلب أخصيه بالنور أسخاه[2]

وقوله (الإباء المر) :

في غربة أنا والإباء المر والأدب اللباب [3].

(١) ديوان بدوي الجبل صـ٥٢١ .

(٢) ديوان بدوي الجبل صـ٣٩٣ .

(٣) ديوان بدوي الجبل صـ٧٤.

وقوله :

ما راعنا الدهر بالبلوى وغمرتها لكننـــا بالإبـــاء المـــر رعنـــاه[١]

وقوله (الآثام البرئية) [٢] :

طهرت آثامي البرئيـة في لظى قبـــل كـــأحلام النعـــيم عـــذاب

وقوله (المحنة العصماء) [٣] :

هـان ومحنتـي العصـماء داميـة راو ومـن لـوعتي الشـماء سـقياه

كما آثر البدوي بعض الكلمات الخاصة والعدول عن الشائع في الاستعمال ،كإيثاره (مضاء على مضيئة) وذلك في قوله :

ويـا رب أحزانـي مضـاء كـأنني سكبت علـيهن الأصـيل المـذهبا[٤]

لاحظ توجد (مضاء) ولا يوجد (على مضيئة) .

كما آثر استعمال (صحاب بدلاً من صاحب) كما في قوله :

أنـا مـا عاتبـت علـى الصـحاب فلـــيس فـــي الـــدنيا صـــحاب[٥]

ومن إيثار البدوي بعض الكلمات على غيرها ، ما جاء من تفضيله كلمة (رؤاك) على (رؤياك) كما في قوله :

مـن كـان يكسب عينيـه ونورهمـا لتســتحم رؤاك الشــعر لــولاه(٦)

ويبدو أن تفضيله هذا نابع من مناسبة الرؤى للفن الشعري الساحر،

---

(١) ديوان بدوي الجبل صـ٣٩٢ .

(٢) نفسه صـ٣٢٨ .

(٣) نفسه صـ٣٩٢ .

(٤) نفسه صـ١٦٣.

(٥) نفسه صـ٧٥ .

(٦) نفسه صـ ٣٨٧ .

والغامض والملتصق بالباطن والنبوءة والحلم ، وهذا يتحقق في الرؤى لا في غيرها .

وإيثاره جمع (مكان) على (مكانات)بدلاً من (أمكنة) كقوله :

عنا له الكون مأخوذ بفتنته من أنجم ومكانات وأزمان(١)

يبدو أن الضرورة الشعرية هي التي ألجأته إلى هذا ، لأنه كان من الممكن أن تجمع أماكن على أمكنة ، أو أن جمع المؤنث يتجوز ويُتسع فيه ما لا يتجوز أو يتسع في غيره .

وإيثاره لفظ (وراد) بدلاً من (واردين) كما في قوله :

حمنا مع العطر ورادا على شفة فلم نغر منه لكن أغرناه(٢)

وإيثاره (ادكر) بدلاً من (دكر) كما في قوله :

شجاها من عهودك ما شجاها وجن الليل فادكرت أساها(٣)

والشاعر متأثر في هذا بالقرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (٤).

كما آثر البدوي بعض الألفاظ التي تلجئ من يقرؤها إلى البحث في بطون المعاجم العربية؛إما بهدف إحيائها وابتعاثها، وإما إشارة إلى الاعتزاز بلغة الآباء والأجداد، كاستخدامه لكلمة (عيدي)،وذلك في قوله:

بفتوح هن الملوك من الغر وبعض الفتوح غرث عيدي(٥)

---

(١) ديوان بدوي الجبل صـ٣٢١ .

(٢) ديوان بدوي الجبل صـ٣٨٦.

(٣) نفسه صـ٣٣٧ .

(٤) سورة يوسف آية ٤٥ .

(٥) ديوان بدوي الجبل صـ٢٣٢ .

واستخدامه لكلمة (جمشتها) وذلك في قوله :

مـن كـل نـافرة فـإن جمشـتها ألفيـت عقـد نظامهـا محلـولاً[١]

وكثيراً ما يضيف البدوي الألفاظ ذات المدلولات الحسية إلى الألفاظ ذات الدلالات المعنوية ، أو ما يسمى " بتجسيد المعنويات " والعكس كذلك ، فمن الأول : إضافة الحمرة والخيلاء إلى الحق ، والخمر إلى النور ، والثأر والحق والهوى والآلام والحقد ، ومن الثاني قوله (الإيمان المر ، والخلود المر ، والصمت المرير ، واليأس المرير) .

كما تنوعت الأساليب الخبرية والإنشائية في ورودها في إبداع الوطنية عند البدوي ، وأكثر من الأساليب الإنشائية التي أتت على سبيل الحقيقة أو المجاز ، وأكثرها وروداً النداء بـ (ياء) ، والاستفهام (بهل والهمزة) .

مما سبق يتبين لنا من خلال وقوفنا على المعجم الشعري عند شاعرنا "بدوي الجبل" ، أنه يمتلك ناصية اللغة ، ويحفظ بل يعي الكثير من مفرداتها ودلالات ألفاظها ومعانيها وتراكيبها ، ويقف على ذخائرها ، فينتقي منها ما يتلاءم مع غرضه ومطلبه ، كما يدل على حسه المرهف بجرس الكلمات ، وتراكيب حروفها مضيفاً عليها ظلالاً من ذاته ، مطوعاً أساليبها وتراكيبها لمضامينه وأفكاره ، خاطب بها عقل وقلب وفكر ومشاعر وأحاسيس المتلقي ، كل هذا يعد – وبحق – من دلالات الشاعرية وعلامات العبقرية [٢].

---

(١) نفسه صـ٣٥٣ .

(٢) الخصائص البلاغية في شعر بدوي الجبل – رسالة دكتوراه للباحث أحمد محمد شتيوي صـ٣٤٨ وما بعدها – رسالة مقدمة إلى كلية اللغة العربية بالزقازيق ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م .

بقيت كلمة أخيرة للذين يتاح لهم قراءة شعر بدوي الجبل لابد وأن يدركوا على الفور : " أنهم ينتقلون في رحاب أفق مغاير ويحلقون معه تحت سماء مختلفة ، العطور والظلال والألوان ، العواطف والنسائم ، الزلازل والبراكين ، الرضا والغضب ، الجموع والتحكم ، كلها عناصر هذا الشعر العالي ومفرداته ومعجمه" [1].

(١) زمن الشعر والشعراء فاروق شوشة صـ٧٩ .

ب- المبحث الثاني

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية أحد العناصر الفنية في التشكيل الشعري ينقل بها الشاعر أفكاره ومعانيه وأحاسيسه ومشاعره ، عبر الألفاظ والعبارات إلى المتلقي .

ولهذه الصورة مكونات وعناصر أساسية ، تتشكل من "الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، ويضاف إلى ذلك .... مؤثرات يكمن بها الأداء الفني ، وهذه المؤثرات هي الإيقاع الموسيقي للكلمات والعبارات والصور والظلال التي يشعها التعبير ، ثم طريقة تتناول الموضوع ، أي الأسلوب الذي تعرض به التجربة الأدبية" (١) . ومن هنا أَصْبَحت الصورة الشعرية "وسيلة لنقل الشعور أو الفكرة" (٢) .

وعن طريق التصوير الشعري يتضح الفرق يبين ما هو شعر وما هو نظم، أو متون تعليمية صبت في قوالب شعرية ليسهل الحفظ والاستشهاد بها .

ومن أهدافها تمكين المعنى في ذهن المتلقى ، فضلا عن التأثير القوي فيه " .

هذا بالإضافة إلى إضفاء المتعة والجمال الفني " فتطرب لها النفس وتهتز لها الأعطاف ، وتدعو إلى التعجب ، وذلك لما تحويه من خيال بديع ، وقدرة على نقل الأفكار والعواطف ، والجمع بين المتباعدات" (٣) .

---

(١) محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة د/ صابر عبد الدايم صـ٢٠٥ دار المعارف ١٩٨٤م .

(٢) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/عز الدين إسماعيل صـ١٣٥ دارالكاتب – القاهرة .

(٣) الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد : إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم صـ١٩ الطبعة الأولى.

والصورة الشعرية هي "التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير ، التي ينتقيها وجود الشاعر – أعنى خواطره ومشاعره وعواطفه– في المطلق من عالم المحسات ، ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في إطار قوي تام محس مؤثر ، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين" (١) .

ويراها الدكتور أحمد الشايب بأنها "الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه" (٢).

أو هي "تجسيم للأفكار التجريدية والخواطر النفسية والمشاهد الطبيعية حسية كانت أم خيالية" (٣) .

وهي تختلف من بيئة إلى أخرى ، وليس من المقبول عقلا أن تكون الصورة التي ينقلها إلينا شاعر قديم – جاهلي مثلا – هي نفسها التي ينقلها إلينا شاعر في العصر الحديث .

وتخضع الصورة لنفسية الشاعر وقوة تخيله ، ومدى قراءاته ، ووفرة ثقافته واطلاعاته ، ومدى قدرته على الإيحاء والرمز ، ومدى قدرته أيضا على نقل عوالمه ورغباته ونوازعه إلى المتلقى .

والصورة الشعرية في حاجة إلى مكونات أساسية : الخيال الذي ينتج الصورة ، أو يعمل على تركيب أجزائها وتشكيلها ، ثم الصورة نفسها التي أنتجها ذلك الخيال ، وهي ليست شيئا هامشيا يمكن الاستغناء عنه ، بل هي هامة نظراً لما تنقله وتعبر عنه بشكل لا يمكن للغة العادية أن

(١) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د/ علي علي صبح صـ١١ المكتبة الأزهرية للتراث سنة١٩٩٠م .

(٢) أصول النقد الأدبي أحمد الشايب صـ٢٤٢ مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٣ م .

(٣) النقد التطبيقي والموازنات د/ محمد الصادق عفيفي صـ١٤٢مكتبة الخانجي القاهرةسنة١٩٧٨م

توصلها إلى المتلقي ، وأخيراً : يأتي المكون الثالث الكامن في اللغة الشعرية القادرة على الإيحاء والتأثير ، من خلال ما يستعمله الشاعر من أدوات تشبيهية أو استعارية أو رمزية، وما إلى ذلك مما يضمن للصورة أن تؤدي وظيفتها في العمل الأدبي[١].

والصورة عند شاعرنا بدوى الجبل "بديعة الصنع جميلة العرض ، فتانة الشكل تزخر بالحياة ، وتموج بالحركة ، ولو فتشت عن صورة جامدة أو باهتة أو مريضة لأعياك التفتيش ، وعدت بخفي حنين ، وهو ممن يهتمون بالجو النفسي أولاً ، ويحاول إثارتك وتمهيد ذاتك للمشهد بالتشويق والإغراء ، وبعد أن ينقلك إلى الجو الذي يهواه أو تتطلبه الصورة لا يفاجئك بالصورة الممتلئة فوراً، وإنما يعرض عليك الإطار كمدخل للصورة ، حتى إذا تمليت من الإطار عرض عليك الصورة ، وقد يخفيها ، ويعرض جزئياتها بعد الأخرى حتى يكمل ما أراد عرضه ، أو يبهرك بالصورة متكاملة تامة ، ولا يثق بك فينبهك إلى كل دقيقة فيها ، وهو شاعر لا تقفر صوره ، ولا تتباعد أجزاؤها ، لكنها مزدحمة كثيرة ، ويلون أرض الصورة بلون الإطار .....

في صور البدوى حب ولوعة وخمور وعطور وطبيعة فتانة ، وجمال أخاذ وأنداء وظلال .... ألفاظه المنتقاة أحسن انتقاء تضفى روعة السحر على صوره الشعرية الأخاذة ، هذا الفن في صور الشاعر أتى من اتساع ثقافته وفيض قريحته ، وجموح خياله ، وخصوبة شاعريته ، الجزئيات الصغيرة قلما تتغير ، وإنما تكثر ، وتقل من صورة إلى صورة ، ويغير

(١) وطنيات هاشم رفاعي دراسة في المضمون وأدوات التشكيل الشعري د/ جميل عبد الغني محمد علي صـ٢٤٩ .

نظام توزيعها في هذه الصورة ، ويعاد النظر في تناسقها في تلك ، وقد يجمع مواد اللوحة الجديدة من حطام لوحات أخرى فيأتي بجزء من اللوحة الأولى ، وآخر من الثانية ، وثالث من الثالثة وهكذا ... إلى أن يكمل عمله الفني الجديد فيكون إبداعه متجليا في الذوق الأنيق والحس المرهف، والشكل الحديث الذي عرضت به هذه الصور" [١] .

وصور البدوى كثيرا ما تتأسس على التشبيه والاستعارة بسائر أنواعها، لكنه بقدرته التعبيرية وملكته التصويرية وطاقته الخيالية استطاع أن يكسبها ذوق العصر وروحه ، ويلونها بأحاسيسه وانفعالاته وتفاعلاته مع الواقع مرة ، ومع معطيات تراثه وثقافته مرة أخرى وكان الواقع البيئي والمأزوم والمائج بحركات التحرر والانعتاق من ربقة المستعمر هو المصدر الأساسي والمهم في تشكيل صوره المنوعة الأنماط .

وحين نتأمل صور الشعر الوطني عند " بدوي الجبل " نجدها توزعت بين صور جزئية وأخرى كلية ورمزية ، وغير ذلك كما وجدناه يلجأ إلى تجسيد المعنويات ، ويعرج على أنسته الطبيعية ، فالصور الجزئية هي التي تمثل اللبنة الأولى في عملية التصوير الشعري، وتكون مع مثيلاتها الصورة الكلية ، وهي مع ذلك لها مادتها وكثافتها ، ووضعها الخاصة بها في مجموع العمل الفني، فهي كالخطوط والألوان في فني الرسم والنحت سواء بسواء ، ولأجل ذلك "تكون الصورة الجزئية هي العنصر الأهم في الكشف عن الوحدة في الموضوع، وهي في نفس الوقت

(١) محمد سليمان الأحمد بدوي الجبل – حكاية شاعر : زهير الماردينى صـ ٤٥ .

تظل علاقتها بالموضوع علاقة الجزء بالكل ، لأنها تصور جزئياته، جزيئة جزئية حتى تستوفيه، وتأتي عليه في تلاحم ونمو وحيوية " [١] .

ففي قصيدته " الثورة الحمراء " [٢] نراه يقول :-

آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا وأبعد الله إشفاقا وتحنانا

ففي الشطرة الأولى من البيت صورتان جزئياتان بسيطتان ، وهما تصويره للحقد بالوقود يزيد من شدة اشتعال النار ، والأخرى تصويره العزائم بالنار التي تشتعل بالحقد ، والصورتان تومئان إلى حتمية الغضب، ومدى استثماره وتفعيله ، أو تحويله إلى سلاح مقاومة يشهر في وجه الأعداء ، ويقول أيضا :-

ثارات يعرب ظمأي في مراقدها تجاوزتها سقاة الحي نسيانا[٣]

ففي هذا البيت صور الثأر بإنسان ظامئ يريد أن ينقع غلته ، ولكن أنَّي له ذلك وأهل الحي غافلون ، فتشير الصورة إلى العجز أو الجمود الذي لف الجميع في عباءته . والصورة على بساطتها أسطورية قديمة ، ومعتقد جاهلي . ويهدف من ورائها استنهاض عزائم السوريين ، وتوقد نار الحمية في صدورهم، وهي أيضا على بساطتها (رمزية) أيضا ، والرمز فيها مقصود منه توحيد العصور والأماكن والثقافات المختلفة ومزجها بعصرنا وأجوائه وثقافاته ، والصورة تؤدي وظيفة عضوية في القصيدة باعتبارها صورة شعرية ، ونجاح الرمز الأسطوري يرجع في

(١) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د/ علي علي صبح صـ ١٠٣

(٢) الديوان صـ٨٠ .

(٣) الديوان صـ٨٠ .

الأساس إلى مقدرة الشاعر على استيعابه، والاقتناع به حتى يصبح بعضا من مشاعره وأخيلته [١] .

وهذه صورة جزئية أخرى رامزة ، يستنهض بها الهمم ويستثير العزائم الرواكد . يقول :-

لا خالد الفتح يغزو الروم منتصرا ولا المثنى على رايات شيبانا [٢] .

فالشاعر يعود إلى التاريخ يستلهم منه مادته ، فيذكر أهل الشام بالأبطال الصناديد كسيف الله المسلول خالد بن الوليد بطل الروم ، والمثنى بطل فارس الذي دحر المجوس ودك حصونهم ، والشاعر لا يقصد الأشخاص، بقدر ما تحمل هذه الأشخاص من بطولات وتاريخ كفاح ، ودفاع عن النفس والوطن ، ويختار زمن البطولة ، وذلك حين كان العرب يصنعون التاريخ .

صورة جزئية أخرى تصور ما آل إليه العرب من ذل وانكسار ، وكثيراً ما تحسس معاني الحزن في نفسه ، وها هو ذا يسكب العطر والخمرة من النجوى، يقول :

تنضر الورد والريحان أدمعنا وتسكب العطر والصهباء نجوانا [٣]

والصورة وإن كانت جزئية بسيطة ، فقد اعتمدت حواساً ثلاثاً (البصر – الشم – الذوق) فقد صور النجوى بإنسان نشوان ، تنسكب منه العطور والخمور ، أما الورود والرياحين فاستحالت شخوصاً تفدى الزمان

(١) الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر د/ محمد فتوح أحمد صـ٢٩٧ – ٣٠١ . دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .

(٢) ديون بدوي الجبل صـ٨٠ .

(٣) ديوان بدوي الجيل صـ٨١ .

والمكان ، وتقوم بترطيب وتطرية المدامع والعيون ، على أن هذا النمط من صور البدوى ورد في شعره ، ولكن بصورة قد تبدو قليلة .

أما الصور الكلية : فهي الصور المتنامية التي تضم حشداً من الصور الجزئية تصب في قالب الصور الجزئية ، وتشكل في النهاية لوحة فنية متكاملة ، وتتخطى بذلك وحدة البيت لتمتد إلى المقطع ، وأحيانا إلى القصيدة كلها ، فلا تكتمل أبعادها إلا باكتمال المقطع أو القصيدة ، وتقوم على أساس عضوي ونفسي ، وليس على أساس الرصد أو الجمع الكمي، قلا يجوز لك أن تفصم عراها أو تفك أجزاءها ، أو تقدم أو تؤخر في أبياتها ، أو أن تحذف من أبياتها ، أو تضيف إليها لأن ذلك يهشم السياق، والتفاعل المتنامي للمعاني .

وهذا النمط التصويري يعد الظاهرة المطردة في شعر البدوي مما يدل على امتداد الفكرة عنده وتلاحمها ، نلمس هذه الصورة الكلية في قصيدته التي يمجد فيها أحد الزعماء الوطنيين(سعد الله الجابري) ، إذ نراه يقوم بتصوير شجاعته ونضاله ومجابهته للعدو ، وقد امتطى صهوة جواده في جرأة لا تعرف جبناً ، ونفس كبيرة تحمل بين جنبيها إيثاراً وتضحية وعزيمة لا تفتر ، وابتسامة ثغر حتى في أحلك الظروف ، وكم أوقع بالعدو الفرنسي خسائر فادحة أدت به في النهاية إلى الهلاك يقول :-

من كسعد إذا الملاحم جنت ... وتلقى حد من الهول حدا
وعلى راية الشام كمى ... يفحم الدارعين أشقر نهدا
هتكوا حرمه العرين فهاجوا ... أسدا دامي البراثن وردا
حشدوا جندهم وأقبل سعد ... يحشد البأس والعقيدة جندا
ضاحك الثغر والضحى مكفهر ... روعوه قصفا وبرقا ورعدا
ضرب الظلم ضربة رنحتته ... فتداعى مزمجرا فتردى[1] .

(١) ديوان بدوى الجبل صـ٢٢٦

نلحظ أن اللوحة قد شكلتها بعض الصور الجزئية التي تضامت وتضافرت في رسم اللوحة الكلية ، منها (جنون الملاحم) ، (البطل الكمي)، (حرمة العرين) ، (حشد البأس والعقيدة جندا) ، (ضاحك الثغر)، (الضحى مكفهر)، (ترنح الظلم) وغيرها من الصور الجزئية .

والتصوير إلى هذا الحد يعتمد تجسيد المعنويات وهو شائع في شعر البدوي ، رامزا به إلى استنهاض عزائم الناس ، إلى الدفاع عن أوطانهم أمام كل مستعمر غاشم ، ولون العاطفة التي سيطر على هذه اللوحة هو اللون الزاهي المشرق ، الذي يعكس ابتهاج الشاعر بمواقف وبطولات هذا الرجل،ترشح هذه العاطفة بعض المفردات والعبارات من مثل (على راية الشام كمى)، (يقحم الدارعين)،(أشقر نهدا)،(هاجوا أسدا)،(ضاحك الثغر)،(ضرب الظلم ضربة رنحته).. الخ.

على أن اللوحة توافر لها من عناصرها ما يقيم أودها ويجعلها تظهر في ثوب قشيب تسر الناظرين :- من (صوت ولون وحركة)

فتسمع الصوت في مثل قوله (هاجوا أسداً) (روعوه قصفا) – رعداً– برقاً) (ضرب الظلم) (تداعى مزمجرا) .

أما عنصر اللون فنراه من مثل قوله (راية الشام كمي) (أشقر نهدا) (دامي البراثن) .

أما عنصر الحركة فنحسه في مثل قوله (يقحم الدارعين) (هاجوا أسدا) (حشدوا جندهم) (أقبل سعدا) (ضاحك الثغر) .

لوحة أخرى تدور فكرتها حول تصوير حالته في الغربة وإثر إرغامه على ترك أهله ووطنه وحيننه إليهما ، فصور حال وطنه قبل الاحتلال وما كان فيه من رغد للعيش ؛ حيث الرياض الغناء والذكريات الجميلة ، والأيام النضرة الزاهية ، كل ذلك انقلب إلى صورة نقيضة ، حيث خراب

الأرض تعلوها القتامة ، ولم يجد أمامه في غربته ما يخفف حزنه سوى عبثه في الماء وعدم تميزه للأشياء ، وكأن الموج الصغير نبات ليس له ساق ، فوطنه اليوم حاله كحال النبات الهشيم .

فقد علا وطنه ذل وعار وخزى وانكسار ؛ من جراء المستعمر الغاشم المستبد يقول في قصيدته (حنين الغربة) [١] .

وهيهات منى في البحيرة دمر ... وسجع بوادي الربوتين رخيم
إذا لاح لي وجه البحيرة قاتما ... ألح عليه عاصف وغيوم
فوجه أديم الشام طلق منور ... ووجه بحيرات السماء قسيم
تعللت لا أشكو مقاماً ولا أذى ... بلى كل ناء عن هواه سقيم
ويحزنني دوح البحيرة عاريا ... وأوراقه الخضراء وهي هشيم
وأبسط كفى أقطف الماء عابثا ... كأن المويجات الصغار جحيم
وتلك الظلال الحاليات عواطل ... على كل أيك وحشة وسهوم
تعرت من الغيد الملاح وطالما ... تغطى بأسراب الملاح أديم

وهذه اللوحة تحمل بين طياتها الصور المتقابلة أو المتضادة ، والتي تعكس حالتين متضادتين متقابلتين ، حال الوطن يوم كان يعش في بلهنية من العيش، يرفل في الرفه والسعادة قبل الاحتلال ، وحاله يوم علاه الذل والانكسار من بطش الاحتلال الغشوم .

واللوحة كونتها بعض الصور الجزئية الدالة والمعبرة ، والتي نهضت في النهاية – بتكاثفها وتشابكها صورة من وراء صورة ،وخيط من وراء خيط – بتشكيل هذه اللوحة البديعة والمريرة في آن واحد ، من ذلك تصويره (صورة البحيرة الرائع مرة) (وصورتها وقد علتها القتامة والجهامة

(١) الديوان صـ١٨٠

أخرى) (وجه الوطن وهو طلق منور) (صورته وهو سقيم) (صورة الحدائق وهي معطلة من كل حسن) (صورته وهو يقطف الماء) (تصويره الموج بنبات الأرض) (صورة الغيد الملاح) ... الخ

أما العاطفة التي غلفت هذه الأبيات فهي من اللون المشتجر المتداخل الذي يولِّد قمتين نفسين .

الأولى : قمة في الإشراق والتوهج ، تعكسها الصور المشرقة الزاهية.

والأخرى : قمة في العبوس والقتامة والجهامة ، وتعكسها الصور الغائمة العابسة الجهمة ، من شأن هاتين القمتين أن تقف بالمتلقي على مدى الدمار والهلاك الذي فعله المستعمر في أرض الوطن الغالي ، فالضد يظهر الضد، وبضدها تتمايز الأشياء .

على أن هذه اللوحة توافر لها من عناصرها (الصون – اللون – الحركة) ما يجعلها تنهض بأن تكون لوحة رائعة الأبعاد والظلال ، قادرة على رسم ملامح وأبعاد التجربة الشعورية والشعرية .

سمعنا الصوت في قوله :- (سجع البواد) (رخيم) (عاصف) (أشكو) (صوت الماء) .... الخ .

ورأينا اللون في قوله :- (الربوتين) (وجه البحيرة قاتما) (غيوم) (سقيم) (أوراقه الخضراء) .. الخ

ولمسنا الحركة في قوله :- (عاصف) (هشيم) (أقطف الماء عابساً) (المويجات الصغار) .... الخ أي أننا أمام لوحة فنية مياسة بحركتها ، زاهية بألوانها وأصباغها منتشية بأنغامها وأصواتها .

أما آخر اللوحات التي أود الوقوف عندها فقد تخيرتها من قصيدته(كافور)[١].

وفيها يصور شاعرنا"بدوي الجبل" أذناب المستعمر وعملائهم من ساسة وحكام ، كان ديدنهم الظلم والبطش والاستعباد ، أذاقوا الرعية شتى ألوان

العذاب ، أعملوا في ظهورهم سياط القهر والتنكيل ، سلبوا منهم كرامتهم وآدميتهم وإنسانيتهم ، تأله عليهم ، وأمرهم بعبادته ، فهم وما ملكت أيمانهم ملك له يقول :-

الفكر من صرعى هواك ومن ضحاياك الحنان
يغني الشآم عن الكرامة والنعيم المهرجان
حشدت لطلعتك الجموع فهون الخبر العيان
هتفوا فبين شفاههم وقلوبهم حرب عوان
غرثي ويتخم من لحوم الأبرياء الخيزران
عضت ظهورهم السياط فكل سوط أفعوان
الراكعون الساجدون عنوا لوجهك واستكانوا
الجائعون وزرعهم لك والمناهل والجنان
القاطفون كرومهم ولك السلافة والدنان
الحاضنون شقاءهم ولك المتارف والليان
الظامئون ويومهم شرس الهواجر إضحيان
المالكون قبورهم لما عصفت بهم فحانوا
لك عذرة العرس الحزين فما تعز ولا تصان

(١) كافور رمز لكل حاكم طاغية ظالم مستبد . الديوان صـ١٤٦

ولـك الظـلال فـبعض جـودك أن يفيـئهم مكـان

ودمـاؤهم لـك والبنـون فمـا الأبـاطح والرعـان

ولـــك العبـــادة لا لغيـــرك والتشـــهد والأذان

اللوحة رائعة تغص بمعان كبيرة ، أبدع فيها وافتن في رسم خيوطها، حتى انبعثت فيها الظلال والألوان التي تعكس واقعا مريراً أليماً ممضاً ، وقد جعلنا نقف أمام لوحة واقعية منتزعة من الواقع البيئي . بل إننا نشم من أصباغ وألوان اللوحة رائحة هي أشد وأفظع من الروائح المصَّاعدة من رجع حلوق الموتى .

تأمل وشاهد معى تفاصيل ودقائق هذه اللوحة ، وصورها الجزئية التي شكلت بتناسقها وتضافرها وتناغمها عناصرها الصوتية والحركة والضوئية فكان منها : (مصرع الفكر) (حشد الجموع لمشاهدة طلعة الحاكم البهية) (هتاف الرعية) (الرعية وقد تركت السياط ندوباً ونتوءً على ظهورهم) (السوط الأفعوان) (الراكعون الساجدون لوجه الحاكم) (الحاضنون شقاءهم) (القاطعون كرومهم) (الحاكم إلهاً) ...الخ الصور الجزئية التي شكلت لحمة اللوحة وسداها .

أما العاطفة المسيطرة على هذه اللوحة فكانت عاطفة غائمة عابسة جهمة حزينة ، ولم لا ؟ !!

إنها تجسد حالة عبيد أذلاء ! جوعى !عطشى ! معذبين! استعبدوا وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً !!!!

ولم لا أيضا ؟ !!! والمرسومون أحب الناس إليه بنو وطنه (الشام) كشفت عن هذه العاطفة عدة ألفاظ وعبارات منها :

(صرعى هواك – قلوبهم حرب عوان – غرثى – عضت ظهورهم السياط –الساجدون عنوا لوجهك – الجائعون – الحاضنون شقاءهم – الظامئون – المالكون قبورهم – دماؤهم لك .... الخ) .

على أن هذه اللوحة قد اكتمل لها من عناصرها (الصوت اللون– الحركة) ما يقيم أودها ، وينبئ بمدى ودقة إحكامها ، وينبئ أيضا بأن شاعرنا قد أحسها بنفسه وروحه وقلبه وقلمه ، وكانت اللوحة مرآة صادقة، عكست ظلم الحاكم الظالم المستبد ، الذي لا يعرف ولا يؤمن بأي حق من حقوق رعيته أو شعبه .

نسمع الأصوات في مثل قوله : (المهرجان) (هتفوا) (حرب عوان) (عضت ظهورهم السياط) (عصفت بهم) (العبادة) (التشهد) (الآذان)...الخ.

وترى الألوان في مثل قوله : (لحوم الأبرياء) (فبين شفاههم وقلوبهم حرب) (الأفعوان) (الجائعون) (وزرعهم) (كرومهم) (الدنان) (المالكون – قبورهم) (ودماؤهم لك) (الأباطح) ...الخ .

وتحس الحركة في مثل قوله : (صرعى هواك) (حسدت لطلعتك الجموع) (هتفوا) (حرب عوان) (الراكعون الساجدون) (القاطنون) ... الخ.

أما الصور المتكئة على عنصر التشخيص أو (تجسيد المعنويات) فكثيرة في وطنيات شاعرنا نذكر منها : تشخيصه العتاب بالدموع وبالأشلاء والنيران ، يقول :

خل العتاب دموعا لا غناء بها وعاتب القوم أشلاء ونيرانا [1]

(١) الديوان صـ٨٠.

ومنها : تجسيد الأحقاد والضغائن بشيء أو شراب يحتسي أو يسقى يقول :-

ويل الشعوب التي لم يسق من دمها ثاراتها الحمر أحقادا وأضغانا [1] .

ومنها أيضا : ترنح السوط في يد الجاني ، فقد بات طعام الاستعمار من اللحم السوري ، وشرابه من دمه ، حتى أن السوط الذي يجلد الجاني به ضحيته قد فترت عزيمته وخارت قواه ، وها هو ذا يترنح وكأنه هو الذي يتلقى الألم والتعذيب ، فيتراقص جزلا على أنغام ألم الضحية ودمها المسفوح يقول :

ترنح السوط في يمنى معذبها ريان من دمها المسفوح سكرانا (٢).

ومنها أيضاً : تجسيده الأحزان ، وجعلها تبدو في صورة جمرات مخضرة مصنوعة من كبده ، راح يلملمها ، ويحاول من خلالها استرداد ما مضى من غضير الصبا، وحُب الذكريات الخوالي الغوالي ، فتوحي الصورة بالقهر ، واليأس من بعثرة الأحلام والطموحات ، تراه يقول :

ألملم الجمرات الخضر من كبدي وأسترد الصبا والحب والكبدا (٣).

ومنها أيضاً : تجسيده الرزايا والنوائب التي اعتورته واحتوشته من كل جانب، بامرأة عقيم لا تنتج إلا الكوارث فقط ، هذه الصورة يتبعها بأخرى

(١) الديوان صـ٨٠ .

(٢) الديون صـ٨٠ .

(٣) الديوان صـ ١٧٠ .

تشير إلى السلبية والجمود اللذين رانا على الجموع ، حتى بات الثأر يستغيث فلا يجد سميعا أو مجيباً إلا الأجداث وأكفان الموتى ، تراه يقول :-

وقد عرفت الرزايا وهي منجبة فكيف لم تلد الجلى رزايانا

يا وحشة الثأر لم ينهد له أحد فاستنجد الثأر أجداثا وأكفانا (١)

ومنها أيضا قوله :

ومن لبانات السكرى مصرعة من الوني بين أفياء وأفنان (٢) .

فقد جعل البدوى اللبانة شخصا يشرب ويسكر ، حتى يترنح ويصرع منه الونى والتعب .

بهذه النماذج وغيرها أستطيع أن أقول بأن وطنيات "بدوى الجبل" حوت كثيراً من الأنماط التصويرية ، وكان أهم ما يميزها العاطفة الصادقة والأحاسيس النبيلة ، والصور المنتقاة من الواقع المأزوم المكدود ، والتي نهضت بحق بتوضيح موقفه الملتزم تجاه قضايا وطنه وأمته المصيرية ، وكشفت كذلك عن أنه شاعر أخذ مكانه بين صفوف الجماهير ، فهو شاعر رسالي ، دوره أن يحمس ويلفت النظر ويوجه ، ويفتح العيون على بؤر العفن والفساد ، بغية تلاشيها وتغيير وجهها إلى الأروع والأحسن والأجمل على السواء .

(١) الديوان صـ١٣٦.

(٢) الديوان صـ٣١٩ .

المبحث الثالث

جـ - الموسيقى وزناً وقافية

أجمع نقاد الأدب في القديم والحديث على أن الموسيقى في الشعر عنصر مهم وأساسي ، ضمن عناصر صياغة العمل الشعري ، مما له من تأثير قوي ، وأثر عظيم في النفس والمشاعر والوجدان ، بما يحقق من إبداع وإمتاع فني في نقل الأفكار والمشاعر في صورة رتيبة منتظمة ،وإيقاع موزون مقفى ، يمتع العقل وينفذ إلى القلب ، ويؤثر في الشعور ، ويلهم الكثير من المشاعر والخواطر .

فابن رشيق مثلا يقول في تحديد الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى " والشعر عنده يقوم على أربعة أشياء هي(اللفظ – الوزن– المعنى – القافية) ثم أضاف خصوصية إلى الوزن فقال "الأوزان أعظم حد الشعر وأولاها به خصوصية " ومرة أخرى نجده يقول : " والبيت منه الأبنية قراره الطبع ، وسمكه الرواية ، ودعائمه العلم ، وبابه الدربة ، وساكنه المعنى ، ولا خير في بيت غير مسكون ، وصارت الأعاريض كالموازين والأمثلة للأبنية ... فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ، ولو لم تكن لاستغنى عنها " [(١)].

ولم تكن الموسيقى مجرد حلية فنية خارجية كبقية الفنون الجملة الأخرى ، من رسم ونحت وتصوير ، وإنما جاءت لغايات وآثار أخرى لها أهميتها وقيمتها النفسية والفنية والدلالية في العمل الشعري ، فهي فضلا عن مخاطبتها للعواطف ، واستثارة المشاعر والوجدانات فإنه بواسطتها

(١) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي الحسن بن رشيق القيرواني – تحقيق محي الدين عبد الحميد حـ١ صـ١٣٤ الطبعة الخامسة دار الجيل بيروت ١٤٠١ هـ ١٩٨١م

" يستخرج الشاعر ما تعجز دلالة الألفاظ في ذاتها عن استراجعه من النفس البشرية ، كاللون العاطفي للفكرة ، أو ظلال المعاني التي تعجز الألفاظ في ذاتها عن التعبير عنها ، بينما يستطيع النغم هذا التعبير أو على الأقل الإيحاء به " [١] .

وذهب " سليمان البستاني " إلى تأكيد أهمية القافية خاصة في النص الشعري حين قال : "الشعر كالنغمة الموسيقية ، والقافية رسته أو قراره ، فحيثما جاد النغم ، وتناسق إلى منتهاه ، حسن وقعه في الأذن، وانشرح له الصدر ، وطربت له النفس ، فكل نغم أطرب أرباب الصناعة ، وذوي السماعة فهو الحسن ، وهكذا الشعر ، فلا يحسن وقعه في نفوس قرائه وسامعيه ما لم يكن جيدا ، وقد يستهان بالمعنى البليغ لضعف قافيته، أو وقوعها في غير موقعها"[٢] .

وإذا كان الشعر هو فن الذيوع والانتشار ، لما يحتويه بناؤه الموسيقي من تناسق الألفاظ ووضعها وضعاً خاصاً يسهل حفظه ، وانتقالها من فم إلى فم ؛ فإن "شعر الحب وشعر الحرب يأتيان في مقام الصدارة من قائمة الأشعار القادرة على الذيوع والانتشار ، فكلاهما يعتمد على مرارة الانفعال التي يسهل انتقالها بالعدوى ، إذا ما كان المناخ العام والخاص يهيئ المجتمع والأفراد لهذه العدوى" [٣] .

ومن الجدير بالإشارة أن شاعرنا "بدوي الجبل" كان من بين الشعراء الذين عاصروا الدعوات التجديدية في شكل القصيدة ، حين طرحت على

(١) زكى مبارك شاعر .أ. د/ العربي حسن درويش صـ٢٤٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م

(٢) إلياذة هوميروس – تعريب سليمان البستاني المقدمة صـ٩٥ – دار المعرفة – بيروت .

(٣) أدب المقاومة د/غالي شكري صـ٣١٧ دار المعارف القاهرة

ساعة الشعر العربي ،وأنا أعنى هنا دعوة خليل مطران ، والريحاني ، والزهاوي، وبطبيعة الحال لابد أن تكون قد صدرت عنه بعض الآراء النقدية التي تحدد موقفه من تلك النزعات ، وباستقراء تلك الآراء تبين أن "بدوي الجبل" كان من المبغضين لتلك النزعات التجديدية ، ومن أشد الغيورين على التراث العربي الأصيل ، والمتمسكين به والداعين والمكبرين له ، وقد أفصح عن ذلك حين قال "والشعر المسمى بالحديث ، لا هوية له ، ولا يثبت على الزمان ما تخلى عن الأوزان ، وتنكر للطابع والروح العربيين ، وقد يكون الكلام فلسفة أو حكمة ، وقد يكون رائع الخيال ، وقد يكون كل شيء إلا أن يكون شعراً عربياً، فيه وسامة الشاعر العربي ونشوته ، نعم إنه يفتقد الجمال الشعري ؛ لأن الأوزان عذوبة ونغم وجمال وعطر ، وهي هدية الله إلى الروح ، والكلام الذي لا يلتزم قواعد العروض ليس شعرا ، والأوزان قد اتسعت وتتسع لنزعات النفس ، والخليل بن أحمد لم يبتدعها ولكنه ضبطها ، وهي ليست صناعة ، وإنما تنسكب من السريرة انسكابا ، ولا يكون التجدد في نسقها ، وإنما هو في ابتداع المعاني والأخيلة والصور ،مع إلمام باللغة والأدب ، إن الأوزان أساور وعقود ، لا سلاسل وقيود ، والشعر في أوزانه أقرب إلى العفوية من هذا الذي يسمونه جديدا" [١] .

والدراسة هذه تتجه إلى ما يسمى بالمنهج الاستنباطي ، ونعتمد فيه على بيان كيفية استفادة الشاعر "بدوي الجبل" في شعره الوطني من النظريات والمبادئ الموسيقية المختلقة ، كما نعرض أيضا لموقف شاعرنا من الأوزان الشعرية الخليلية وتجديده وتطويره لها ، ومدى تنويعه للقوافي،

(١) ديوان بدوي الجبل المقدمة للأستاذ أكرم زعيتر صـ٤٨

وتوفيقه في استحداث صور موسيقية جديدة ،شكلت موسيقاه الشعرية في فن الوطنية عنده .

وسندرس هذا الاتجاه من خلال محورين أساسين هما :-

أ- الموسيقى الخارجية. ب – الموسيقى الداخلية

أ - الموسيقى الخارجية :

وهي المتمثلة في الأوزان والقوافي ، لأن الوزن هو اللبنة الأساسية في البناء الموسيقي ، والعنصر الحيوي الذي يقوم بمهمة التنظيم والانسجام ، وضبط المستويات الصوتية للحروف والكلمات ، والقافية هي ذلك العنصر الموسيقي الذي يحدث ذلك التناغم والتناسق الصوتي بين الحروف الأخيرة في نهاية كلمات كل بيت من أبيات القصيدة ، وتحدث ذلك الترابط والتلاحم بين أجزائها وأبياتها [١] .

وقد جاءت موسيقى الشعر الوطني عند شاعرنا "بدوي الجبل" عبارة عن سلسلة متدفقة مؤثرة في نغم وعذوبة وجمال ، معبرة عن أصدق حالات الحب والعشق للوطن الحبيب ، ومترجمة لأعنف مشاعر الغضب والثورة والتمرد ضد أعدائه وظالميه .

وشاعرنا "بدوي الجبل" سار على نهج أسلافه ، والمتمثل في النمط الخليلي الموروث من التزام الوزن والقافية ، والنسج على نوله ، وهو إذ يعتمد على هذا الموروث في قصائده الوطنية ، نلحظ ميله إلى البحور الطويلة ممتدة التفاعيل ؛ لأن فيها مجالاً أوسع لاستيعاب المعاني الوطنية، والأفكار التحريرية، والقضايا السياسية التي تحتوي على المحاجة والجدل ، والمفاخرة والمناظرة ، وتتطلب استنهاض العزائم وإثارة الهمم

(١) ينظر الوطنية عند شعراء أبو لو د/إبراهيم شحمة صـ٥٥

الرواكد ، وإذكاء روح الثورة في الجماهير ، ومن ثم كانت هذه البحور الطويلة أكثر قدرة وأشد ملاءمة للتعبير عن أفكار شاعرنا ومعانيه ، وخاصة في مناحى الوطنية المختلفة .

ويأتي بحر الكامل في مقدمة تلك البحور الخليلية التي استخدمها شاعرنا في شعره عامة ، وشعر الوطنية على وجه الخصوص ، وذلك لما لهذا البحر من قدرة على استيعاب المشاعر ، والنفوس الثائرة ، والضمائر الملتهبة ؛ لما يتميز به هذا البحر من استطالة في الموسيقى ، واتساع في الإيقاع ، ولذا أصبح بحر الكامل "معبود الشعراء، وهو أيضا البحر الذي يستمتع به جمهور السامعين من محبي الشعر، فيطرقه الآن كل الناظمين الشعراء منهم والمتشاعرون" [(١)] .

ويأتي في المرتبة الثانية بعد بحر الكامل التام منه والمجزوء ، بحر الخفيف ، ثم الطويل ، فالبسيط ، فالرمل ، ثم الوافر ، وها هي ذي بعض النماذج التي تعضد ما أقول :

(١) موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس صـ٢٠٠-٢٠٨ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الخامسة

نماذج منه بحر الكامل التام :

يقول في قصيدة "دمعة على الشام" [١] .

حـــي الـــرئيس إذا نزلـــت بســـاحه رُحَبـــاً تهلـــل للوفـــود فســـاحا

أيضاً جاءت قصيدته "جمرة الدنيا" [٢] والتي أهداها إلى الرئيس شكرى القوتلي :

عهـد عليـه مـن الضـحايا رونـق ألحـــق مـــن لبناتـــه والمنطـــق

ومثل هذا من بحر الكامل التام قصيدته "خلع الحياة على البلى"[٣]، والتي رثا فيها أمير الشعراء أحمد شوقي يقول :-

لا الأمـس يسـلبك الخلـود ولا الغـد هيهـات أنـت علـى الزمـان مخلـد

ومثل هذا من الكامل التام قصيدته "تلك الأقانيم الثلاثة" [٤] يقول فيها :

الليـــل بعـــد الـــراحلين طويـــل أو مـــا لصـــبغك يـــا ظـــلام نصـــول

ومن الكامل التام أيضا رائعته "على أطلال الجزيرة العربية" [٥] ، يقول في مطلعها :-

عفـت الـديار وأنكـرت قصـادها حيّـا الحيـا تلـك الـديار وجادهـا

ومثلها قصيدته "أهوى الشآم" [٦] ، يقول فيها :-

قـف بالشـآم مسـائلا آثارهـا مرحـى لمـن أم الشـام وزارهـا

---

(١) الديوان صـ٨٧ .

(٢) الديوان صـ ١٣٩ .

(٣) الديوان صـ٢٧٢ .

(٤) الديوان صـ٥٠٦ .

(٥) الديوان صـ٥١٠ .

(٦) الديوان صـ٥٢٠.

وأخيراً :قصيدته من الكامل التام التي عنوانها"فترقبوا الغارات من أيتامها"[١]. يقول منها :-

خلـــوا الشـــام وداميـــات كلامهـــا لا تهتكـــوا الأســـتار عـــن آلامهـــا

أما مجزوء الكامل : فنلمسه في مثل قصيدته "ابتهالات" [٢] ، يقول فيها :-

لا الغوطتـــــان ولا الشـــــباب أدعـــو هـــوای فـــلا أجـــاب

ومثل قوله في قصيدته "كافور" [٣] ، والتي يقول فيها :-

كـــافور قـــد جـــن الزمـــان وإليـــــك آل الصـــــولجان

أما قصيدته الأخيرة من مجزوء الكامل ، والتي نوع الشاعر من قوافيها فجعل لكل أربعة أبيات قافية معينة ، فهي قصيدته "مرابع الأحباب" [٤] ، والتي يقول في المقطع الأول منها :-

أمرابـــع الأحبـــاب فـــي قلبـــي لمـــــن ظعنـــــوا مرابـــــع

والمقطع الثاني يقول :

بعـــد الـــذين أحـــبهم والوجـــد يزكيـــه البعـــاد

والمقطع الثالث :-

يـــا ســـاكنى القصـــر المهيـــب عفـــت وحقكـــم القصـــور

والمقطع الرابع :-

أبـــوابكم هجـــرت فـــلا نـــور هنـــاك ولا ازدحـــام

---

(١) الديوان صـ٥٢٦.

(٢) الديوان صـ٧٢.

(٣) الديوان صـ ١٤٦ .

(٤) الديوان صـ٤٣٤

فهذه القصيدة بلغ عدد مقاطعها اثني عشر مقطعا ، جاءت كلها من مجزوء الكامل ، أي [متفاعلن] مكررة في البيت الواحد مرات أربع في كل شطر مرتين.

ويلاحظ على عروض أبياتها أنها صحيحة ، ولئن كان قد دخل الإضمار بعضها [أي بتسكين الثاني المتحرك في التفعلية الثانية من عروض البيت] فإن هذا الإضمار عارض لا يلزم .

ويلاحظ أيضا على ضرب أبياتها أن بعضها صحيح ، وبعضها مُرَفَّل أي زيد سبب خفيف على آخر (متفاعلن) وصارت (متفاعلاتن) .

ويلاحظ على القواقي أنها منوعة مختلفة ، من أودية بعيدة ، ومخارج متباينة ، خلا البيت الأول [مرابع] والبيت العاشر [للشرائع] فإن القافية فيها متحدة في الحرف الأخير ، ويبدوا أن الشاعر جعل بينهما اتحاداً كي يحدث نوعا من الربط الموسيقي بين أشتات هذه الأبيات ، ينضاف إلى الرباط الإيقاعي .

أما بحر الطويل : فهو بحر متسع التفاعيل ، وفيه رحابة تتواءم مع محاور وهموم وأفكار القصيدة الوطنية ، كما ناسب هذا البحر أيضا انفعال الشاعر وهو في غربته ، أو شدة اشتياقه إلى وطنه المحبوب ، وعمق تفكيره ، فهذا التفكير يتطلب الهدوء والتريث في الانفعال الذي تشعه حركات بحر الطويل ، كما جاء هذا البحر ملائما لجو التهديد والتوعد للاستعمار الغاشم ، وجاءت على هذا البحر قصائده التي منها قصيدة (البلبل الغريب) [١] .يقول فيها :-

سلي الجمر هل غالى وجن وعذبا كفــرت بـــه حتـــى يشـــوق ويعـــذبا

(١) الديوان صـ١٥٨.

ومثلها قصيدته (حنين الغريب) [١] . يقول فيها :-

وفـــاء كمـــزن الغـــوطتين كـــريم وحـــــب كنعمـــــاء الشـــــآم قـــــديم

ومثلها قصيدته "الشهيد" [٢] ، والتي ألقاها في حفلة ذكرى "هنانو" هذا البطل الثائر المناضل يقول فيها :-

وفـاؤك لا عسر الحيـاة ولا اليسر وهمـــك لا الـــداء الملـــح ولا العمـــر

ومن بحر الطويل أيضا رائعته "الذكرى" [٣] ، والتي رثى بها ابن عمه المرحوم الشيخ على محمد كامل ، وقد كان في طليعة الزعماء الوطنيين في محافظة اللاذقية والتي يقول فيها : -

لهيب من الذكرى وحقك لا يخبو متـــى يتلاقـــى بعـــد نـــأيهم الصـــحب

ومـــن بحـــر الطويـــل أيضـــا قصـــيدته "حيـــاة أســـير القيـــد لفـــظ بلا معنى" [٤]، والتي ألقاها حين كان الانتداب الفرنسي في عنفوانه ، وفي الفورة من طغيانه ، وقد جزأ الوطن شر تجزئة ، وأقام دويلات في اللاذقية وحلب وجبل الدروز ، وقطع كل صلة بين هذه الأجزاء وبين الأم الرؤوم الخالدة دمشق، واشتد تنكيله بالأحرار الذين ينادون بالوحدة في الوطن العربي ، يقول في هذه القصيدة :

أتغنـى ومـا أجدى الحسام ولا أغنـي قـــواف مـــن الأشـــعار تبقـــى ولا تفنـــى

---

(١) الديوان صـ١٨٠.

(٢) الديوان صـ٢٥٩.

(٣) الديوان صـ٢٨٠ .

(٤) الديوان صـ٤٤٣ .

وأخيرا رائعته التي ألقاها في قاعة المجمع العلمي بدمشق "تعالوا نعد الصيد" [١] يقول فيها :-

أهـدى مغـاني جِلَـقٍ والمعـالم لـك الخيـر أم هـل أنـت وسـنان حـالم

ولعله بنظمه الوفير على هذين البحرين ، يبدو أولاً تمسكه بما ورد عن الشعراء السابقين من نظمهم الشائع على أوزان هذين البحرين ، وتوافقه مع ما ذكره الدكتور " إبراهيم أنيس " حين قال عن بجور الطويل والكامل والبسيط والوافر والخفيف وما إلى ذلك ، إذا قورنت النسب بعضها ببعض استطعنا الحكم بسهولة على أن البحر الطويل قد نظم منه ما يقرب منه ثلث الشعر العربي ، وإنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ، ويتخذونه ميزانا لأشعارهم ، ولاسيما الأغراض الجدية الجليلة الشأن ، ثم نرى كلا من الكامل والبسيط يحتل المرتبة الثانية في نسبة الشيوع ، وربما جاء بعدهما كل من الوافر والخفيف ، وتلك هي البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ، يطرقها كل الشعراء ، ويكثرون النظم منها ، وتألفها آذان الناس في بيئة اللغة العربية " [٢].

ومن نظمه على أنغام بحر الخفيف : جاء شعر وطني بلغ ثمانية قصائد ، كان منها قصيدته "بدعة الذل" [٣] ، والتي يقول مطلعها :-

عاصـف بـاده الربـي ودخـان أيـن منـك الشـقيق والأقحـوان

ومثلها قصيدته "نم بقلبي" [٤] ، والتي ألقاها في ذكري الزعيم سعد الله الجابري :

---

(١) الديوان صـ٥٣٤

(٢) موسيقى الشعر العربي د/ إبراهيم أنيس صـ١٩١

(٣) الديوان صـ١٠٣

(٤) الديوان صـ١٢٠ .

أدموعـــا تريـــدها أم رحيقـــا لا ونعمـــاك مـــا عرفـــت العقوقـــا

وأما رائعته "من وحي الهزيمة " [١] ،فقد نظمها كذلك على أنغام بحر الخفيف يقول مطلعها :-

رمـل سـيناء قبرنـا المحفـور وعلـــى القبـــر منكـــر ونكيـــر

ومما نظمه أيضا على بحر الخفيف قصيدته "مصرع الشمس" [٢] ، ومطلعها :

زهـوة الفـتح والشـباب النجيـد مـن سـقى الفجـر مـن دمـاء الشـهيد

وكذلك قصيدته "من كسعد" [٣] . ومطلعها :

سـأل الصـبح عـن أخيـه المفـدى أيهـا الصـبح لـن تشـاهد سـعدا

وكذلك قصيدته "أين أين الرعيل من أهل بدر [٤] ، والتي يقول في مطلعها :

لا تسـلها فلـن تجيـب الطلـول المغـــاوير مـــثخن أو قتيـــل

وأما قصيدته "غربة الروح" [٥] ،والتي نظمها في رثاء رئيس الوزراء وقتئذ فارس الخورى ، فقد نظمها على تفاعيل بحر الخفيف يقول في مطلعها :

أترعـــى الكـــأس أدمعـــا ورحيقـــا حـــق بعـــض الهمـــوم أنْ لا نفيقـــا

(١) الديوان صـ١٩٢ .

(٢) ديوان بدوى الجيل صـ٢٠٩ .

(٣) الديوان صـ٢٢٤.

(٤)الديوان صـ٢٣٥.

(٥)الديوان صـ٢٤٧.

وأخيرا كانت رائعته "أهوى الشآم" [١] ، نظمها أيضاً على أوزان بحر الخفيف يقول مطلعها :-

لا تلمـــه إذا أحـــب الشـــآما طابـــت الشـــام مربعـــا ومقامـــا

كما نظم بعض القصائد الوطنية على أوزان بحر البسيط ، وكان منها قصيدته "إني لأشمت بالجبار [٢] ،يقول مطلعها :-

يا سامر الحي هل تغنيك شكوانا رق الحديـــد ومـــا رقـــوا لبلوانـــا

ومثلها قصيدته "يا وحشة الثأر" [٣] ، التي يقول مطلعها :-

شاد على الأيك غنانا فأشجانا تبـــارك الشـــعر أطيابـــا وألحانـــا

وأما رائعته "عاد الغريب" [٤] ، والتي نظمها إثر العودة من الغربة القسرية التي فرضها الطغاة عليه ، فنراه ينظمها أيضا على أوزان بحر البسيط أيضا ، يقول مطلعها :-

حلفت بالشام هذا القلب ما همدا عنـدي بقايـا مـن الجمـر الـذي اتقـدا

ويقول في تأبين " إبراهيم هنانو " قصيدته " آلام" [٥] ،والتي نظمها على أوزان بحر البسيط أيضا ، يقول مطلعها :

ألفت حَرَّك لا شكوي ولا سـهد يـا جمـرة فـي حنايـا الصـدر تتقـد

وأخير وليس آخراً كانت رائعته (لبنان والغوطتان) [٦] ، والتي دبجها على أوزان بحر البسيط ، يقول في مطلعها :

---

(١) ديوان بدوي الجبل صـ٥٢٠ .

(٢) ديوان الجيل صـ٨٠.

(٣) ديوان بدوي الجيل صـ١٢٨ .

(٤) ديوان بدوي الجبل صـ ١٧٠ .

(٥) الديوان صـ٢١٦.

(٦) الديوان صـ٤٦٩

لـي مـوطن فـي ربـي لبنـان ممتنـع ولــي بنــو العــم مــن أبنائــه النجــب

نظم شاعرنا أيضا قصيدتان من بحر الوافر هما (جلونا الفاتحين)[١] ، وقصيدته (ماك سوينى) [٢] ، كما نظم قصيدته "عيد الجلاء" على أنغام بحر الرمل ، ومطلعها يقول [٣] :

الزغاريــد فقــد جــن الإبــاء مــن صــفات الله هــذى الكبريــاء

وهكذا فقد رأينا أن شاعرنا قد نظم تجاربه الوطنية على أنغام البحور التي تسع لاحتواء هذى التجارب ، وأنه أغفل النظم على أوزان وتفاعيل بعض البحور الخليلية الأخرى ، شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء القدامى والمعاصرين ، من الملتزمين والرساليين خاصة .

فإذا ما يممنا وجهنا شطر القافية وجدناه يؤثر استعمال القافية المطلقة في وطنياته ، وهو بهذا يسير على سنن آبائه وأجداده من الشعراء القدامى والموروث القديم ، وهذا لا يعني أنه أهمل النظم أو استثمار القوافي المقيدة مطلقا ، إنما نتحدث عن ظواهر فنية إيقاعية لافتة .

ويلاحظ أن هناك حروفاً شاع استخدامها رويا في شعره الوطني ، كان منها اللام والراء والنون والميم والدال والباء ، وحروف أخرى ، قل أو ندر استعمالها، كالسين والصاد والشين والزاي والذال والغين ... وما إلى ذلك .

ويلاحظ أنه لم ينوع في قوافي قصائده الوطنية ، اللهم إلا في قصيدة واحدة ذكرتها قبلا (في هذا المبحث) وهي قصيدته (مرابع

(١) الديوان صـ١١٤

(٢) الديوان صـ٤٤٩

(٣) الديوان صـ٩٤ .

الأحباب) [١] ، فالقافية قد تتنوع رويها تارة بين العين ، وثانية بين الدال ، وثالثة بين الراء ، ورابعة بين الميم ، وخامسة بين الهمزة ، مع أنه التزم فيها بحرا واحداً وهو مجزوء الكامل .

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

مثل هذا التنوع في القوافي بين الإطلاق والتقييد ، وبين حروف الروى مع التزام البحر الواحد ، لم يخرج بهذا عن قواعد الشعر الخليلى المعروف ، ولعله أراد التجديد ،أو التنويع في خط مسيرة القصيدة العربية، أو الترسيخ من ظاهرة الشعر المرسل التي رادها أحمد زكي أبو شادي وعبد الرحمن شكري وغيرهما.

ب- الموسيقى الداخلية :

وأما عن الموسيقى الداخلية فإن شاعرنا "بدوي الجبل" قد نجح إلى حد كبير في استغلال عناصرها ، ومزاياها الأدبية والفنية ، وتأثيراتها الإيقاعية في التعبير عن تجربته الشعورية والشعرية ، وخاصة في شعره الوطني ، فقد تناغمت الحروف بجرسها ورنينها ، والألفاظ والعبارات بوقعها وجمالياتها الصوتية بتنظيمها وحسن وجمال تنسيقها ، مما جعل شعره الوطني يتبوأ مكانة سامقة ، من حيث الجودة والإمتاع والإتقان ، جعلته يصل إلى المتلقى عبر إيقاع مؤثر ، وتكامل متين رفيع .

ولا تقل أهمية الموسيقى الداخلية عن الموسيقى الخارجية المتمثلة في الأوزان والتفعيلات والمقيدة بالقافية ، وحرف الروي الواحد ، بل إن لها أهمية كبرى في عملية التشكيل الموسيقي والإيقاع النغمي ، وتتجلى تلك

(١) الديوان صـ٤٣٤.

الأهمية في أنها "تمايز بين قصيدتين من بحر واحد ، بل تمايز بين أجزاء القصيدة الواحدة"[١] .

ومن هنا يبدو الاتصال الوثيق بين الإيقاع ودوره المؤثر ، وبين الموسيقى الداخلية داخل القصيدة .

وجدنا في موسيقاه الداخلية نغما موسيقياً رائعاً ، اعتمد على حسن التقسيم بين الجمل والكلمات ، وجدناه في الترصيع ، وجدناه في السجع ، في الجناس ، في الطباق ، في المقابلة ، في تجاور الحروف ... الخ هذه الروافد التي رفدت الموسيقى الداخلية ، والتي عشناها على امتداد شعره الوطني في تضاعيف هذا البحث عامة ، وفي معجم الشاعر في المبحث الأول من الدراسة الفنية على وجه الخصوص .

وإذا كانت من كلمة أخيرة في هذا البحث ؛ فإن الموسيقى بنوعيها الخارجي والداخلي ، جاءت معبرة عن تجربة الشاعر الوطنية أصدق تعبير ، مما جعل شعره الوطني يتميز بموسيقاه العذبة ، وأوزانه الملائمة، وقوافيه المناسبة وإيقاعه المنتظم.

(١) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي (مدخل لغوي وأسلوبي) د / محمد العبد صـ٣١ – دار المعارف – الطبعة الأولى ١٩٢٨م

الخاتمة

بعد هذه المعايشة لتجارب وعوالم وظواهر وجماليات شعر الوطنية عند "بدوي الجبل" خلصت إلى عدة نتائج أجمل أهمها فيما يلي :-

أولا : إن شعر الوطنية عنده كان ينتمي إلى الأدب الملتزم ولم لا ؟ وهو يتوجه بحديثه وخطابه إلى المجتمع عامة، إنه بمثابة شهادة وضعها في ذمة الله والتاريخ ، ودلَّل بها على أنه ليس شاعر الأبراج العاجية ، وليس بالرومانسي الهارب .

ثانيا : وضوح مفهوم "الوطنية"، وتميزه عن الأغراض الأخرى المشابهة له في المضمون ،كالشعر السياسي والاجتماعي، وتطور هذا المفهوم في العصر الحديث.

ثالثا: إن القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مر بها المجتمع السوري في النصف الأول من القرن العشرين ، وما صاحبها من حركات ثورية وتحريرية ،كانت ذات أثر كبير وفعال في شحذ الشعور الوطني عند شاعرنا "بدوى الجبل" والتفاعل البناء مع مجتمعه .

رابعا : تنوع مظاهر الوطنية واتجاهاتها عنده ، مما يؤكد عمق تجربته وثراءها ، وأنه لم يكن شاعر الوجدان الفردي فحسب ، بل كان شاعر الوجدان الجماعي في تناوله لجميع القضايا والمشكلات الوطنية المختلفة .

خامسا : وضحت مشكلة "فلسطين" ، باعتبارها قضية وطنية مهمة عند شاعرنا ، يحملها في أعماق قلبه ، وبين جوانحه ، تؤرق إحساسه وضميره، فراح يجاهد من أجلها ويسهم في الدفاع عنها .

سادساً : حاول شاعرنا – قدر طاقته – في تجربته الشعرية الوطنية المواءمة والمزاوجة بين تراثه العربي التليد ، ونزوعه إلى التجديد والتحرر

الفكري ، الذي يوائم بين طبيعة الحياة الحديثة ومتطلبات العصر ومستجداته .

سابعا : يتخذ البدوي التصوير أداة لتجسيم عالمه الداخلي ، المحمل بالمشاعر والخواطر ،الهواجس والفكر ، ولم يقف التصوير عنده عند حد المعطيات الحسية، والمشابهات الشكلية ، إنما تخطى ذلك كله فكان معبرا عن مكنون نفسه وخبايا قلبه .

ثامنا : اعتمد شاعرنا "بدوي الجبل" في شعره الوطني وما تفرع عنه من مضامين وأفكار ومعان على الألفاظ الجزلة الرصينة ، ذات الجرس القوي ، كما اتسمت الجمل عنده بالقصر لملاءمتها له ، كقوله في تأبين المنفلوطي والألوسي :-

يـا للعروبـة ! أيـن نـور نبوغهـا الزيــت جــف وأطفــئ القنــديل

بغـداد شـاكية ، ومصـر مرنــة والشــام حاســرة القنــاع ســكول

تاسعا: استخدم الشاعر بعض الكلمات ذات الدلالات الرمزية ، مرتفعا ومتخطيا بهذه الألفاظ عن دلالاتها الأصلية ، مما جعل لها صدى جميلا لرؤيته الشعورية .

عاشراً : استخدم البدوي بعض ألوان البديع كالطباق ، والمقابلة ، والجناس ، ورد الأعجاز على الصدور ،مما كان له أثر في إبراز الأفكار والمعاني في ثوب قشيب ، وأظهر قيما فنية ومعنوية ونفسية .

حادي عشر: اعتمد البدوي في كثير من صوره على عناصر الطبيعة بكل جوانبها من حوله ، فشخص مفرداتها حينا ، وأنسن بعض عوالمها، وأسقط عليها أحاسيسه ومشاعره حينا آخر .

ثاني عشر : تتسم الصورة عند شاعرنا "بدوي الجبل" بالتنامي والعمق والبعد عن التسطيح ، كما وظف مكوناتها وعناصرها من صوت ولون وحركة ، توظيفا فيناً رائعاً ، كما غذى الصورة بأنفاس جديدة من نفسه وروحه ووجدانه ومعاناته ، مما جعلها حية معبرة قادرة على حمل بوح نفسه ، وهموم وجدانه وهموم الآخرين .

ثالث عشر : تنوعت أنماط الصورة في شعره الوطني فكان منها الصورة التقليدية ، والرمزية ، والواقعية ، والمبتكرة ، والعميقة ....

رابع عشر : شيوع ظاهرة الحكمة والمثل في شعره الوطني ، مما ساعد على تكثيف التجربة الشعرية ، وإبرازها في صياغة منطقية يتقبلها العقل والقلب معا .

خامس عشر : كان للبدوي معجم شعري خاص ، فآثر بعض الكلمات والصيغ والعبارات والأساليب ، وقد عرضنا لذلك كله خلال بحثنا ، ومن ثم فلا داعي لرصدها هنا ، أو رصد باقي النتائج التي يجدها المتلقي مبثوثة في تضاعيف البحث وأطوائه ، ويمكن العثور عليها بسهولة بإذنه تعالى .

أهم المصادر والمراجع

١- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي (مدخل لغوي وأسلوبي) د/ محمد العبد دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
٢- البناء الفني في الصورة الأدبية في الشعر د/على علي صبح- المكتبة الأزهرية ١٩٩٠م .
٣- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث . د/عمر الدقاق – دار الشرق العربي – بيروت سنة ١٩٨٥ م .
٤- الخصائص البلاغية في شعر بدوي الجبل رسالة دكتوراه د/أحمد محمد السيد شتيوي – رسالة مقدمة إلى كلية اللغة العربية بالزقازيق ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م .
٥- أدب المقاومة د/ غالي شكري دار المعارف القاهرة .
٦- الأدب والقومية العربية د/ إسحاق موسى الحسيني – جامعة الدول العربية – معهد البحوث والدراسات العربية – مطبعة البيان العربي ١٩٦٥ – ١٩٦٦ م .
٧- أراء وأحاديث في القومية العربية ساطع الحصري – دار العلم للملايين بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٥٩ م .
٨- أراء وأحاديث في الوطنية والقومية ساطع الحصر – مركز الدراسات الوحدة العربية – بيروت ١٩٨٤ م .
٩- أروع ما قبل في الوطنيات . إميل ناصيف – دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م .
١٠- استدعاء الشخصية التراثية في الأدب العربي المعاصر د/ على عشرى زايد – دار الفكر العربي .

١١–أصول النقد الأدبي . أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – الثامنة ١٩٧٣م .
١٢–أضواء على الأدب الحديث د/أحمد محمد الحوفي . دار المعارف – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م
١٣–الأعلام .خير الدين الزركلى – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .
١٤– إلياذة هو ميروس – تعريب سليمان البستاني – دار المعرفة – بيروت.
١٥–بدوي الجبل شاعر الأناشيد والمراثي .إيليا الحاوي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨١ م .
١٦–ثورة شعب (عرض للحركة الوطنية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين مع دراسة تفصيلية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م) . د/ سعيد عبد الفتاح عاشور – دار النهضة العربية – الطبعة الأولى ١٩٦٤ م .
١٧–ديوان أحمد شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د/ أحمد الحوفي – دار نهضة مصر – القاهرة – من دون تاريخ .
١٨–ديوان بدوي الجبل جمع أكرم زعيتر – دار العودة – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٧٨ م .
١٩–الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر . د/محمد فتوح أحمد – دار المعارف – الطبعة الثالثة ١٩٨٤ م .
٢٠–زكي مبارك شاعراً . د/ العربي حسن درويش – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

٢١- زمن الشعر والشعراء . فاروق شوشة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م .

٢٢- شرح ديوان المتنبى وضع عبد الرحمن البرقوقي - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٢٣-شعر الأخطل الصغير. دار الكتاب العربي - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة .

٢٤-الشعراء الأعلام في سورية . د/ سامي الدهان . دار الأنوار . بيروت - لبنان ١٩٦٨ م .

٢٥-الشعر العربي الحديث في الإقليم السوري .سامي الدهان -معهد البحوث والدراسات العربية العالية ١٩٦٠ م .

٢٦-الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. د/ عز الدين إسماعيل - دار الكاتب - القاهرة ١٩٦٧ م .

٢٧-شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي- عباس محمود العقاد - مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٧ م .

٢٨-صحيح البخاري : الجامع الصحيح المختصر .محمد بن إسماعيل البخاري - دار ابن كثير- اليمامة- بيروت -ت/ مصطفى ديب البغا سنة ١٩٨٧ م .

٢٩-الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد . إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم - الطبعة الأولى .

٣٠-علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ووسائل البديع. د/ بسيوني عبد الفتاح فيود - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٣١–العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي الحسن بن رشيق القيرواني حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – دار الجيل – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٣٢–الفكر العربي في عصر النهضة . ألبرت حوراني – الطبعة الثالثة – دار النهار – بيروت ١٩٧٧ م .

٣٣–القومية العربية في الشعر الحديث . د/ أحمد محمد الحوفي – دار نهضة مصر – القاهرة – من دون تاريخ .

٣٤–لسان العرب – ابن منظور – تحقيق عبد الله على الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم محمد الشاذلي جـ١٣ دار المعارف – مصر . بدون تاريخ .

٣٥–مجلة الدليل – مقال "أدبنا القومي " للأستاذ: عبد الله محمد الطائي نيسان ١٩٤٨ م جمادى الثاني ١٣٦٧ هـ .

٣٦–مجمع الأمثال أبو الفضل أحمد محمد الميداني – مطبعة المصحف الشريف جـ١– ١٣٥٢ هـ

٣٧–محمد سليمان الأحمد "بدوي الجبل "(حكاية شاعر) بيسان للنشر والتوزيع والإعلام – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .

٣٨–محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة. د/ صابر عبد الدايم – دار المعارف ١٩٨٤ م .

٣٩–مع الشعراء المعاصرين د/ متولي البساطي – مطبعة أبناء وهبة حسان – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٤٠–موجز الأدب الحديث في مصر إلى قيام الحرب العالمية الثانية . د/ أحمد هيكل – مكتبة الشباب ١٩٩٦ م .

٤١-الموسوعة العربية الميسرة – دار الجيل – الجمعية المصرية – بيروت القاهرة – تونس – الطبعة الثانية ٢٠٠١م .

٤٢-موسيقى الشعر . د/إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية -الطبعة الخامسة .

٤٣-النقد التطبيقي والموازنات د/ محمد الصادق عفيفي – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٨م .

٤٤-الوطن في الأدب العربي – إبراهيم الإبياري – سلسلة المكتبة الثقافية العدد رقم ٧٣ – دار القلم ١٩٦٢ م .

٤٥-وطنيات هاشم الرفاعي . دراسة في المضمون وأدوات التشكيل الشعري د/ جميل عبد الغني محمد علي-الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٤٦-الوطنية عند شعراء أبولو – دراسة وتحليل ونقد – رسالة دكتوراه د/ إبراهيم حسن شحمة – مخطوطة بكلية اللغة العربية إيتاي البارود ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ م .